جهود أقطاب المغرب في الدرس النحوي قراءة في الإرهاصات والبدايات المبكرة من خلال مؤلف: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي

The contributions of the Maghreb scientists In Arabic Grammar through Zubaidi's Layers of grammarians and linguists'

أ(ة). زوليخة ياحي

جامعة يحيى فارس المدية– الجزائر

الملخص:

نشأ النحو العربي نشأة بصرية، وسرعان ما انتقل إلى باقي الأمصار كالكوفة وبغداد، ثم الأندلس وبلاد المغرب العربي، وقد اهتم أصحاب السير والتراجم بتتبع اللغويين والنحويين العرب، وقسموهم بحسب انتماءاتهم الجغرافية، ومن هؤلاء الزبيدي في كتابه "طبقات النحويين واللغويين".

وسنقف في هذه الورقة البحثية على جهود النحويين المغاربة من خلال ما استعرضه الزبيدي في كتابه، ممَّا يؤكد وجود مدرسة نحوية مغاربية أندلسية.

الكلمات المفتاحية: النحو العربي، البصرة، الكوفة، المغرب العربي، الزبيدي.

Abstract:

Arabic grammar originated in Basra, and soon spread to koufa and Baghdad, then Andalusia and the Maghreb. Writers interested in writing biographies have written about the Arab linguists and grammarians, and

divided them according to their geographical affiliations like what Zubaidi did in his book "layers of grammarians and linguists."

In this paper, we will stand on the efforts of the Maghreb Grammarians through what Zubaidi reviewed in his book, which confirms the existence of a Maghreb and Andalusian Grammar School.

Keywords: Arabic grammar, Basra, Kufa, Maghreb, al-Zubaidi.

مقدمة:

نالت لغة العرب في شبه الجزيرة حظوة وإعجاب أهلها نبغ فيها جهابذة، وأساطين حتّى بلغ الأمر بهم أن أتقن كلّ عربي هذه اللّغة؛ الّتي فطر عليها جبلّة وسليقة، ومع نزول القرآن الكريم زادت مكانتها، وشاع استعمالها، واتّسع نطاقها، واغتنى معجمها ودلالتها، وبدخول الأعاجم بدأت بذور اللّحن والخطأ تدبّ في أوصالها ما استدعى المسارعة إلى كفكفة دموع الزّيغ والانحراف المحيطة بها، ومع الوقت تبوتقت هذه الجهود لتنصبّ في علم النّحو؛ الّذي تعمّقت البحوث، والدّراسات فيه من خلال مؤلّفات، ومدوّنات في قواعده وأسسه.

كلّ هذا في شبه الجزيرة العربية ومع امتداد الفتح الإسلامي؛ الّذي بلغت أعتابه الضّفة الأخرى للوطن العربي في مغربه رحّب أهله بدورهم بهذا الدّين الجديد، ودخلوا فيه جماعات وفرادى، وانشغلوا بتدارس علومه خاصّة القرآن الكريم، وهذا ما أفرز اهتمامهم الشّديد باللّغة العربية، ونحوها وقواعدها غير أنّ السّبق واليد الطولى كانت من نصيب أهل المشرق في انطلاقة الدّرس النّحوي، وتطوّره مع الزّمن، وهذا لا يعني عدم ظهور مهتمّين بهذا المجال المعرفي في المغرب

العربي؛ حيث أشار الزّبيدي في كتابه طبقات النّحويين واللّغويين إلى أسماء أعلام ساهموا بشكل كبير في رقي اللّغة العربية، وعلم النّحو على وجه التّحديد.

1- النحو: نشأته وتطوره:

1-1- مفهوم النحو وأسباب نشأته:

تتعدّد الأسباب الّتي يشار إليها في ظهور هذا العلم، ولعلّ أبرزها انتشار اللّحن وشيوعه "في العربية حين اتّسعت دائرة المجتمعات العربية القديمة لما كان من الفتوح الإسلامية الّتي نشرت هذه اللّغة في المجتمعات الإسلامية الّتي اعتنقت الإسلام فأقبلت على العربية تتعلّمها"[1]، وتتقن استعمالها، على أنّ اللّحن لم يرتبط بالأعاجم بل امتدّ إلى العرب أنفسهم.

وهذا الاهتمام بفصاحة اللّغة وسلامتها يرجع إلى كونها "لغة التّنزيل العزيز، ولغة السّنة النّبوية الشّريفة، فليس من المقبول أن يعرض لهذه اللّغة الشّريفة شيء ممّا يقدح فيها من اللّحن الّذي بدأ يشيع"[2]، ويستشري في أرجاء المنطقة العربية، ولأنّ اللّغة شرفت بمنزلة راقية نبعت من القرآن الكريم الّذي زادها رفعة وازدهارا.

---

[1] إبراهيم السامرائي، المدارس النّحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1987، ص09.

[2] المرجع السابق ص 09، 10.

وفي تعريف النّحو يدلّ على القصد، فنقول نحوت الشّيء أنحوه نحوا إذا قصدّته[1]، وجاء في لسان العرب النّحو إعراب الكلام العربي، والنّحو القصد، والطّريق فالنّحو لغة يعني القصد والأمّ[2]، أمّا اصطلاحا فهو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتّثنية، والجمع والتّحقير والتّكسير والإضافة، والنّسب والتّركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ بها إليها[3]، وبهذا نلاحظ أنّ مفهوم علم النّحو يندرج في اتّباع كلام العرب الفصيح لتفادي الوقوع في الخطأ.

أمّا عن أصل وضع هذا المعنى الاصطلاحي فنجد روايتين تتّصل الأولى منها في كون "أنّ عليا رضي الله عنه ألقى على أبي الأسود شيئا من أصول النّحو فاستأذنه أبو الأسود أن يضع نحو ما صنع فسمي ذلك نحوا، والثّانية أنّ أبا الأسود وضع وجوه العربية، وقال للنّاس انحوا نحوه فسمي نحوا"[4]، ومهما تعدّدت الرّوايات في سبب التّسمية فإنّ الحاصل ظهور علم النّحو، وانتشار العمل في إطاره.

[1] فؤاد حنا ترزي، في أصول اللّغة والنّحو، مطبعة دار الكتب، بيروت، (دط)، (دت)، ص92.
[2] المرجع نفسه، ص 91، 92
[3] المرجع نفسه، ص 92.
[4] المرجع السابق، ص 92.

أمّا عن أسباب وضع النّحو العربي فقد تعدّدت؛ منها الدّيني، ومنها غير الدّيني، ففيما يخصّ البواعث الدّينية "ترجع إلى الحرص الشّديد على أداء نصوص الذّكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى أبعد حدود السّلامة والفصاحة، وخاصّة بعدما أخذ اللّحن يشيع على الألسنة"[1]، بشكل كبير جدّا أدّى إلى المسارعة للحفاظ على لغة القرآن الكريم.

بالإضافة إلى بواعث أخرى منها القومي العربي، ومنها الاجتماعي؛ حيث يرجع إلى اعتزاز العرب بلغتهم من جهة، جعلتهم يخشون عليها من الفساد، وبواعث اجتماعية دفعت بالشّعوب غير العربية المستعربة إلى من يرسم لها نهجا قويما في هذه اللّغة حتّى يستقيم لها استعمالها ونطقها[2]، ويزاد على تلك العوامل "رقي العقل العربي، ونموّ طاقته الذّهنية نموّا أعدّه للنّهوض برصد الظّواهر اللّغويّة، وتسجيل الرّسوم النّحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد، وتنتظم الأقيسة انتظاما لنشوء علم النّحو، ووضع قوانينه الجامعة المشتقّة من الاستقصاء الدّقيق للعبارات، والتّراكيب الفصيحة بخواصّها وأوضاعها الإعرابية"[3]، فكلّ هذه العوامل ساهمت في ميلاد النّحو العربي الّذي اتّسع نطاقه وكثر روّاده خصوصا في البصرة والكوفة.

[1] شوقي ضيف، المدارس النّحوية، دار المعارف، مصر، ط7، (دت)، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] المرجع السابق، ص 12- 13.

1-2- وضع الدرس النحوي وتاريخه:

يذهب جلُّ الباحثين والمشتغلين بهذا المجال إلى اعتبار أبي الأسود الدّؤلي هو واضع علم النّحو "وقد سيقت أخبار كثيرة في هذا المعنى تتّفق في فحواها، وتختلف في أجزائها، وتعقد هذه الأخبار الصّلة بين أبي الأسود وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب"[1]، في وضع النّحو العربي وقد كان هذا في البصرة ممّا دفع إلى بروز مدارس نحوية في هذا الصّدد على غرار مدرسة البصرة والكوفة.

وتتّفق الآراء على ريادة أبي الأسود الّذي بدأ الغرس، فتطوّر وازدهر مع الزّمن "فازداد فيه التّدوين والتّصنيف شيئا فشيئا غير أنّ هذا العلم لم تطل عليه الأيّام كسائر الفنون فاكتمل وضعه قبلها، والباعث على النّشاط فيه، والسّرعة شعور العرب بالحاجة إليه قبل كلّ علم"[2]؛ لأنّه يعتبر لبّ اللّغة، والأساس المعتمد عليه في حفظها من الأخطاء الّتي بدأت تنتشر في أوصالها.

وقد تدرّج وضعه عبر أربعة مراحل "طور الوضع والتّكوين (بصري)، طور النّشوء والنّمو (بصري كوفي)، طور النّضج والكمال (بصري كوفي)، طور

[1] إبراهيم السّامرائي، المدارس النّحوية، ص 10.

[2] أحمد الطنطاوي، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، مصر، ط2، (دت)، ص 35.

التّرجيح والبسط في التّصنيف (بغدادي وأندلسي ومصري وشامي)"[1]، وعبر هذا التّدرّج تجلّى جهد أقطاب النّحو في المشرق والمغرب العربي معا.

1-3- جهود أقطاب المشرق في الدرس النحوي:

نما علم النّحو وترعرع في تربة المشرق؛ حيث برز وارتقى مع الزّمن، وقد شهد هناك اهتماما بمعظم فروعه فألّفت الكتب، ووضعت القواعد خصوصا في رحاب المدرسة البصرية والكوفية، ومن أعلامها جملة من النّحاة واللّغويين كان لهم قصب السّبق في الدّرس النّحوي أشارت لهم جملة من المراجع عبر الزّمن نذكر منها: المدارس النّحويّة لشوقي ضيف، ومؤلّف آخر لخديجة الحديثي حمل نفس العنوان[2]، وكتاب مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغو والنّحو لمهدي المخزومي[3]، والمعجم المفصّل في اللّغويين العرب لإميل بديع يعقوب[4]، وغيرها من المؤلّفات الّتي اهتمّت باستظهار جهود النّحاة واللّغويين في هذا المضمار، ومن هؤلاء الأقطاب نذكر: أبو الأسود الدّؤلي، أبو عمرو بن العلاء، يونس بن حبيب، الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه، قطرب، المبرد، الزّجاج، الكسائي، الفرّاء، أبو

---

[1] المرجع السابق، ص 37.

[2] ينظر خديجة الحديثي، المدارس النّحويّة، دار الأمل للنّشر والتّوسيع، إربد، الأردن، ط1، 2001 .

[3] ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنحو، مكتبة مصطفى البابي، ط2، 1958.

[4] ينظر إميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللّغويين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

علي الفارسي، ابن جني، وغيرهم كثير وجهودهم توزّعت عبر أطوار ومراحل نشأة النّحو العربي.

ففي المرحلة الأولى (الوضع والتّكوين) كان للمدرسة البصرية الاهتمام البالغ بالنّحو؛ حيث امتدّ هذا الطّور من واضع النّحو إلى عصر الخليل، وفيه وضعت اللّبنات الأولى لهذا العلم، وتمّ استنبات أحكامه، واستجلاء مرتكزاته، أمّا المرحلة الثّانية (النّشوء والنّمو) كان لمدرسة البصرة والكوفة مساهمة فيها بدأت من عهد الخليل إلى أوّل عصر المازني البصري وابن السّكيت الكوفي، وهنا توسّع مجال النّحو إلى مباحث الصّرف أيضا.

أمّا المرحلة الثّالثة (النّضج والكمال) فكان فيها للمدرستين دور في بلوغ الدّرس النّحوي قمّة النّضج والتّطوّر، ويبدأ هذا الطّور من عهد أبي عثمان المازني البصري، ويعقوب بن السّكيت الكوفي إلى آخر عصر المبرّد البصري وثعلب الكوفي، ففي هذا الطّور ازداد النّشاط والعمل من طرف النّحويين واللّغويين "فأكملوا ما فات السّابقين، وشرحوا مجمل كلامهم، واختصروا ما ينبغي، وبسطوا ما يستحق، وهذّبوا التّعريفات، وأكملوا وضع الاصطلاحات، ولم يدعوا شيئا منه إلاّ نظّروه، ولا أمرا من غيره إلاّ فصّلوه"[1]، وفي هذه المرحلة انفصل الصّرف عن النّحو لتبدأ بوادر ظهور المرحلة الرّابعة الّتي شملت بقية الأقطار العربية، والّتي منها المغرب العربي.

[1] أحمد الطنطاوي، نشأة النّحو، ص47.

2- جهود أقطاب المغرب في الدرس النحوي:

مع اتّساع رقعة الإسلام بفضل الفتوحات امتدّ نطاق اللّغة العربية، واستخدامها في منطقة المغرب العربي؛ حيث عرفت هذه البقعة كذلك اهتماما بالدّين الإسلامي وازداد التّمسّك به، وبالقرآن الكريم، وهذا ما دفع بسكان المغرب إلى الإقبال الشّديد على تعلّم اللّغة لتيسير اعتناق الإسلام، والتّفقّه في القرآن الكريم، وفروعه المعرفية.

وقد كان المغرب مع بداية الفتح الإسلامي مقسّما إلى ثلاثة أقسام "مملكة إفريقية وهي المغرب الأدنى، وقاعدتها القيروان، وسمي أدنى لأنّه أدنى إلى بلاد العرب، ومركز الخلافة، والمغرب الأوسط، وقاعدته تلمسان والجزائر والمغرب الأقصى وقاعدته فاس في مراكش"[1]، ومع كلّ ما لاقاه الفاتحون في سبيل نشر تعاليم الدّين الإسلامي في كلّ ربوع المغرب العربي، وتتابع الدّول عليه انتهج المسلمون منذ دخولهم لهذه المنطقة منهج نشر الإسلام ولغة العرب فيها؛ حيث كانوا " يعملون على إدخال البربر في الإسلام وتثقيفهم وتحضيرهم، وتوالى على بلاد المغرب أمراء عظام عملوا في هذه السّبيل أعمالا جليلة فكان حسّان بن النّعمان الغسّاني الّذي دوّن الدّواوين باللّغة العربية، وأمر موسى بن نصير العرب أن يعلّموا البربر القرآن والفقه، واستطاع أن يجعل غالبية البربر يسلمون على أيدي العرب، ثمّ أسلم بقيّتهم على يد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، سنة 101

[1] خديجة الحديثي، المدارس النّحوية، ص 351.

أيّام عمر بن عبد العزيز، وقد أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التّابعين يفقّهون أهل المغرب في الدّين"[1].

ومع توالي الأحداث على ربوع المغرب توطّن الإسلام، وانتشر مع اللّغة العربية، وازداد تثقّف النّاس بالقرآن وعلومه، ونتيجة اختلاطهم بغيرهم من المسلمين انبثقت معالم الحضارة والمدنية في هذه البلاد، وأصبحت هناك حركة علمية وأدبية راقية اهتمّت بالحديث والفقه "وقوي التّأليف في الأدب واللّغة، واشتهر من هؤلاء المؤلّفين القزّاز القيرواني، وإبراهيم بن علي الحصري القيرواني وغيرهما، وظهر في المغرب نحاة ولغويّون كثيرون"[2]، يشهد لهم بمساهمتهم في النّهوض باللّغة العربية، والعلوم والمعارف المختلفة.

وكان لترابط العلاقات بين أهل الأندلس والمغرب بالغ الأثر في تعاضد الجهود خاصّة في علم النّحو فقد "هبّت نسمة من الأندلس على بلاد المغرب انتعشت فيها، فظهر في الأندلس والمغرب علماء المشرق، وانتشرت دراسة النّحو في سائر المدن"[3]، أثمرت مع الوقت، وكثرة النّشاط جهودا جمّة جعلت الأندلسيين والمغاربة يستغنون عن المشارقة، ويعتمدون على نفوسهم؛ حيث عدلوا عن "بعض آراء المشارقة في النّحو وخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه، واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم، وبذلك استحدثوا مذهبا رابعا عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص: 352

[2] المرجع نفسه، ص 352

[3] الشيخ أحمد الطنطاوي، نشأة النّحو، ص 220

ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري؛ الّذي يعدّ بحقّ فجر النّهضة النّحوية في هذه البلاد"[1]؛ الّتي أثبتت بكوادرها وأعلامها أنّ لديها مساهمة في مجال الدّرس النّحوي خاصّة في ظلّ الإرهاصات والبدايات المبكرة الّتي أشار إليها الزبيدي في كتابه: طبقات النّحويين واللّغويين، وفي ثناياه تناول طبقة النحويين واللّغويين القرويين.

3- نماذج من جهود أقطاب المغرب في الدرس النحوي:

من النّماذج التّمثيلية الّتي استفرد بها المغاربة في علم النّحو "منع توكيد العائد المنصوب المحذوف قياسا نحو جاء الّذي ضربت نفسه، قال الأشموني: ومنعه السّراج وأكثر المغاربة"[2]، بالإضافة إلى اعتبار الفعل القلبي معلّقا عن الجملة المسبوقة بالمعلّق بعد المفعول الأوّل، قال ابن هشام: قال جماعة من المغاربة إذا قلت: علمت لزيد أبوه قائم، أو ما أبوه قائم، فالعامل معلّق عن الجملة، وهو عامل في محلّها النّصب على أنّها مفعول ثان، وخالف في ذلك بعضهم؛ لأنّ الجملة حكمها في مثل هذا أن تكون في موضع نصب، وألاّ يؤثّر العامل في لفظها، وإن لم يوجد معلّق، وذلك نحو علمت زيدا أبوه قائم"[3].

ومن أمثلة نحوهم كذلك تجويزهم تأخير حال الفاضل عن اسم التّفضيل، قال السّيوطي: وأجاز بعض المغاربة تأخير الحالين عن أفعل بشرط أن يليه الحال

[1] المرجع السابق، ص 220.

[2] أحمد الطنطاوي، نشأة النّحو، ص 223.

[3] المرجع نفسه، ص 223.

الأولى مفصولة عنه من الثّانية، فيقال هذا أطيب بسرا منه رطبا، وزيد أشجع أعزل من عمرو ذا سلاح، قال أبو حيان: وهذا حسن في القياس لكنّه يحتاج إلى سماع[1].

وأيضا اعتبارهم نصب غير في الاستثناء كنصب المستثنى بإلاّ، قال ابن هشام: وانتصاب غير في الاستثناء عند تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد إلاّ عندهم، وجواز العطف في تمييز المقدار المكوّن من الجنسين نحو: عندي رطل سمنا عسلا، قال السّيوطي: وقال بعض المغاربة الأمران سائغان العطف وتركه[2]، وهكذا نلاحظ جهودهم في بعض الآراء النّحوية المختلفة عن أراء المشارقة.

بالإضافة إلى عدم اعتبارهم العطف بـ "أم" المنقطعة مطلقا، قال الصّبان فابن جني والمغاربة يقولون ليست بعاطفة أصلا لا في مفرد، ولا في جملة، وتصحيحهم عمل أن المخفّفة المفتوحة في الظّاهر أيضا قال السّيوطي الثاني تعمل في المضمر، وفي الظّاهر نحو: علمت أنّ زيدا قائم، وقرئ " أنّ غضب الله عليها"، وعليه طائفة من المغاربة، وقصرهم حذف أن الدّاخلة على الفعل المضارع على السّماع سواء أبقي منصوبا، أم رفع قال الأشموني: وإليه ذهب متأخّروا المغاربة قيل وهو الصّحيح[3].

---

[1] أحمد الطنطاوي، نشأة النحو، ص 224.

[2] المرجع نفسه، ص 224.

[3] ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النّحوية، ص 359- 360.

ومن خلال هذه الشّواهد التّوضيحية نلاحظ أن نحاة المغرب كانت لهم آراء، وإسهامات في الدّرس النّحوي العربي غير أنّ "المغرب الّتي نشأ فيها نحاة هم إلى المؤدّبين أقرب منهم إلى علماء النّحو، ولم ينشأ مع هذا نحوهم في بيئتهم، وإنّما جاء من بيئات النّحو في المشرق العربي، وكان أساس اعتماد الجميع نحو البصرة ثمّ الكوفة"[1]، ومع كلّ ذلك تدلّ هذه الإشارات المقتضبة على ميلاد جهود لأقطاب مغاربة في النّحو العربي تتجلّى أكثر فيما أدرجه الزبيدي في كتابه لطبقات تخصّ النحويين واللّغويين القرويين، ويعني بهم المغاربة.

4- قراءة في مؤلف "طبقات النحويين واللغويين للزبيدي":

يعدّ هذا الكتاب واحدا من المراجع الّتي تؤرّخ لمساهمة أهل المغرب في علم النّحو العربي، وقد وسمه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي بطبقات النّحويين واللّغويين، وعمل محمد أبو الفضل إبراهيم على تحقيقه، صدر عن دار المعارف بمصر، في طبعات منها الّتي بين أيدينا في طبعته الثّانية سنة 1984، وعند تصفّح الكتاب نجده يبدأ بمقدّمة المحقّق، ثمّ تعريف بصاحب الكتاب ومؤلّفاته، يتبع بعد ذلك بمقدّمة للمؤلّف ثمّ يشرع صاحبه في تحديد النّحاة واللّغويين، وتعديد طبقاتهم منطلقا بنحاة البصرة، ثمّ نحاة الكوفة، يليها طبقة اللّغويين البصريين، ثمّ الكوفيين، ثمّ يعرّج إلى نحاة مصر ولغوييها ليصل إلى النّحاة واللّغويين القرويين؛ ويعني بهم المغاربة؛ حيث ضمّت أربع طبقات، بعدها تناول نحاة الأندلس ولغوييها ليختم بهم طبقاته.

[1] المرجع السابق، ص 360

وما يشدّنا في هذا الكتاب عناية صاحبه بمجمل النّحاة واللّغويين العرب الّذين كان لهم دور فاعل في هذا المجال على غرار إشاراته المعمّقة لأعلام المغرب؛ فقد قسّم طبقاته إلى أربعة، ضمّت الطّبقة الأولى أبو مالك الطّرماح، وهو أمان بن الصّمصامة بن الطّرماح بن حكيم، وكان شاعرا عالما باللّغة حافظا لشعر جدّه[1]، بالإضافة إلى عياض بن عوانة بن الحكم بن عوانة الكلبي النّحوي، والّذي قال عنه أنّه عالم بالنّحو والشّعر[2].

ثمّ انتقل إلى الطّبقة الثّانية الّتي استفتحها بإبراهيم المهري، وهو إبراهيم بن قطن المهري أخو أبي الوليد عبد الملك[3]، وأبو الوليد المهري، وهو عبد الملك بن قطن المهري شيخ أهل اللّغة العربية والنّحو والرّواية، ورئيسهم وعميدهم[4]، ومحمد بن صدقة المرادي الطرابلسي كان عالما باللّغة، وكان يتقعّر في كلامه ويتشادق[5]، وأبو سعيد بن حرب بن غورك الّذي قيل إنّه أعلم من المهري بالقرآن وبحدود

[1] أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984، ص 225 .

[2] المرجع نفسه، ص 226، 227.

[3] المرجع نفسه، ص 229.

[4] المرجع نفسه، ص 229.

[5] المرجع نفسه، ص 232.

النّحو[1]، وأحمد بن أبي الأسود النّحوي، الّذي كان غاية في علم النّحو واللّغة[2]، وحسان الجاحظ الّذي ختم به هذه الطّبقة.

بعدها انتقل إلى الطّبقة الثّالثة الّتي جعل فيها حمدون النّحوي المعروف بالنّعجة، وهو أبو عبد الله حمدون بن إسماعيل وكان مقدّما بعد المهري في اللّغة والنّحو، وكان يحفظ كتاب سيبويه وله كتب في النّحو[3]، ومحمد المكفوف كان أعلم خلق الله بالعربية والغريب والشّعر وتفسير المشروحات، وأيّام العرب وأخبارها أدرك المهري وصحب حمدون[4]، وأضاف في هذه الطّبقة المدني أحمد بن محمد من أهل تونس، وخلف الأطرابلسي؛ الّذي كان صاحب نحو ولغة والطرزي موسى بن عبد الله، وعلي بن الحضرمي، ومحمد المعروف بالعقعق وابن الحدّاد، والطّلاء المنجّم والسّبخي[5].

وجعل في الطّبقة الرّابعة أبو السميدع أحمد بن شريس، والقياس الجهني عبد الله بن عبد الله النّحوي، والخروفي علي بن الحسين التنوخي، وابن أبي عاصم اللؤلئي أبو بكر بن إبراهيم، وزنجي بن مثنى، والخياري أبو محمد صيغون،

[1] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 233.
[2] المرجع نفسه، ص 233.
[3] المرجع نفسه، ص 235.
[4] المرجع نفسه، ص 236.
[5] المرجع نفسه، ص 236 وما بعدها.

والدّاروني وهو أبو محمد حسين بن محمد التميمي العنبري، وابن الوزان النّحوي، وعامر بن إبراهيم الفزاري، ليختتم بقاسم بن حبيب النّحوي[1].

وبعد أن ينتهي من نحاة المغرب ينتقل إلى نحاة الأندلس، والملاحظ من خلال هذه الإطلالة إشارة الكاتب الحسنة لأقطاب المغرب من النّحويين واللّغويين، وهذا يعتبر إثباتا يدلّ على وجود ثلّة من المهتمّين بالدّرس النّحوي العربي في المغرب؛ الّذين ساهموا بجهودهم في إثراء هذا المجال المعرفي منذ إرهاصاته وبداياته الأولى ما جعل الزّبيدي بكتابه يخطّ اعترافا بميلاد مدرسة مغاربية موازية لبقية المدارس النّحوية في هذا الإطار.

الخاتمة:

تجلّى لنا من خلال ما سبق أنّ الدّرس النّحوي برز بسبب عوامل شتّى على رأسها شيوع اللّحن، والخوف على لغة القرآن الكريم، والاعتزاز الشّديد بلغة العرب، وهذا ما أسّس لمدارس نحوية سعت لوضع ضوابط تحكم اللّغة حتّى تستقرّ، ويسهل استعمالها، وتحفظ من الزّيغ والانحراف، كل هذا عرفه المشرق العربي، لتشرق شمس الفتوحات الإسلامية في المغرب العربي ويحتضن أهلها القرآن ولغته؛ حيث لأبدوا اهتماما شديدا بذلك.

ومع توالي الأيّام بزغ نجم علماء وأقطاب جعلوا شغلهم الشّاغل تحصين هذه اللّغة والذّود عنها، وهذا ما رأيناه من خلال جهودهم الّتي تناولها الزّبيدي في

[1] المرجع السابق، ص243 إلى 250

كتابه طبقات النّحويين واللّغويين، وبهذا نصل إلى القول بتأسيس مدرسة مغاربية في الدّرس النّحوي منذ زمن بعيد جدا تراءى لنا من خلال هذه الإرهاصات والبدايات المبكّرة المشار إليها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو بكر محمد بن الحسن الزّبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984 .

2- إبراهيم السامرائي، المدارس النّحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1987 .

3- فؤاد حنا ترزي، في أصول اللّغة والنّحو، مطبعة دار الكتب، بيروت، (دط)، (دت).

4- شوقي ضيف، المدارس النّحوية، دار المعارف، مصر، ط7، (دت).

5- أحمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، مصر، ط2، (دت).

6- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللّغويين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997 .

7- خديجة الحديثي، المدارس النّحوية، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط3، 2001 .